بدأت الحكومة المصرية مفاوضاتها مع بريطانيا ، التي كررت موقفها التقليدي من مبدأ الجلاء عن قناة السويس ومن ضرورة ارتباط مصر بالاحلاف العسكرية . وقد عبر المفاوض البريطاني عن هذا الموقف ، وبرره بقوله « الوضع الدولي متأزم ونذر الحرب بادية بين الاتحاد السوفييتي والغرب والصراع حتمي بينهما ، وان مجابهة الخطر تقتضي تكتل الامم عسكريا وصناعيا وان يتنازل كل منهما عن بعض سيادته ويقبل وجود جيوش اجنبية على ارضه ... وان مصر مفتاح الشرق الاوسط ... وكل من يريد ان يملك الشرق الاوسط يجب أن يملك مصر وهي بهذا محط اطماع الطرف الاخر ولن يجديها البقاء على الحياد ولن تستطيع الدفاع عن نفسها الا بالتحالف مع بريطانيا » .

ولكن المفاوض ، المصري ، الذي سمع هذا الكلام كثيرا ، قبل ذلك ، حدد موقف مصر من العرض البريطاني ، واصر على « مطلب الجلاء لان الشعب حانق . ولا يمكن ان يركن لوعود جديدة او يقبل نظريات مستحدثة ترمي في النهاية الى بقاء قوات اجنبية في مصر تحت أي اسم وبأية صفة وان ثقة الشعب ضعفت في وعود الانجليز اذا لم تعرف يقينا ان مطالبنا ستحقق » . وذكر ان ليس هناك قوة في العالم « تستطيع اقناع الشعب المصري بأن مصر ستكون مقصودة لذاتها بالهجوم او بالاعتداء ، وانما بسبب وجود جيش اجنبي في بلادنا هو الذي يوجه اليه العدوان الروسي ... وان الاحتلال خطر قائم والعدوان الروسي خطر محتمل ولا يمكن اقناع الشعب ببقاء الاحتلال مقابل خطر محتمل » (٥٧) .

اخطأ المفاوض المصري ، الذي حدد موقفا وطنيا صحيحا من مسألة الجلاء والاحلاف ، حين حاول أن يدفع ثمنا فلسطينيا لحل المسألة الوطنية المصرية . فقد اقترح « ان تنتقل القوات البريطانية في القناة الى فلسطين او غزة بما يمكنها في حالة الحرب من العودة خلال اسبوع » (٥٨) . هذا الاقتراح الذي حظي بتأييد واسع ، عبرت عنه جريدة لوموند الفرنسية بقولها « غزة خير بقعة ينقل اليها الانجليز .. » ، ولكن هنالك « عقبات كثيرة تعترض هذا العمل ، لا بد من التغلب عليها واولاها مسألة اللاجئين العرب .. » (٥٩) . والعقبة الثانية اثيرت من الجانب البريطاني الذي « انتهز فرصة تقديم هذا الاقتراح فقال ان تنفيذه ونقل القاعدة الى غزة يوجب على مصر أن تعقد صلحا مع اسرائيل ، فرد الوزير المصري بأن نقل القاعدة البريطانية يمكن ان يتم في نطاق اتفاقية الهدنة القائمة مع اسرائيل ، امـا مسألة الصلح فانه « يصعب على الراي العام قبولها او تصورها . فأبدى السفير اسفه على ذلك » (٦٠) .